# نَـقْد تَـعَامُل الدّولة مع الزِّلْزَال

رحمان النوضة (صِّيغَة 4)

في يوم الجُمعة 8 شُتنبر 2023، (على الساعة 23 و 10 دقائق)، هَزَّ زِلْزَالٌ (بِقُوَّة 7 دَرَجَات على سُلَّم رِيخْتَر) مَناطقَ جِبال الْأَطْلَس بِالمَغرب. وَمِن خِلَال بعض الصُّوَر والْفِيدِيُوهَات الشعبية التي رَاجَت عَبْر شَبَكَات الْأَنْتِرْنِيت، حَوْلَ مُخَلَّفَات هذا الزِلْزَال، يُمكن اِسْتِنْتَاج المُلَاحَظَات، والْاِنْتِقَادَات، والدُرُوس، الْأَوَّلِيَة التَّالِيَة :

1/) كلّ كَارِثَة طَبيعية (مثل الحَرِيق، والعاصفة، والْإِعْصَار، والفَيَضَان، والزِلْزَال، الخ)، تُعَـرِّي أَخْطَاء أو جَرَائِم النظام السياسي القائم، وَتَفْضَحُ ***العُيُوب الخَـفِيَة المَوجُودة في الدّولة القائمة***. بَلْ

تُوَفِّر الكَارِثَة الطبيعية مُناسبة إضافية لِكَيْ تَتَفَاقَم هذه العُيُوب، وَلِكَيْ تَتَكَاثَر هذه الأخطاء أو الجَرائم.

2/) فَضَحَ زِلْزَال 8 شُتنبر 2023 في جبال الأطلس، أنّ المُواطنين المغاربة، الذين يسكنون في مناطق "جبال الأطلس" (الكبير، والمُتوسّط، والصغير)، هُم مِن بَيْن ***سُكَّان المَغْرب الأكثر فقرًا***. وَقد كانت الدّولة، خِلال عُقُود، تُهْمِلُهُم، وَتُهَمّشُهُم، وَتَضْطَهِدُهُم.

[ في إِطَار ***المُقَارَنَة بين أَحْوَال سُكَّان مَناطق جبال الأطلس، وَأَحْوَال سُكّان مناطق "الرّيف"*** في شمال المَغْرب، كانت بعض المَزَاعِم تَدَّعِي أنّ سُكَّان مناطق "الرّيف" هم الأكثر فَقْرًا وَتَهْمِيشًا في المغرب. وعلى خِلَاف هذه المَزَاعِم، تَظهر أحوال سُكَّان مناطق "الرّيف" أَحْسَن نِسْبِيًّا، بِالمُقَارَنَة مع أحوال سكّان مناطق جبال الأطلس (الكبير، والمُتوسّط، والصغير). وَالدَّلِيل على ذلك هو أنّ مُجْمَل البِنَايَات في "الرّيف" مَبْنِيَة بِالْإِسْمَنْت والحَديد (الخُرَسَانَة المُسَلَّحَة). بَيْنَمَا مُعْظَم بِنَايَات قُرَى جبال الأطلس الكَبير مَا زَالت مَبْنِيَة بِالتُّرَاب، والطِّين، والأحجار، والتَبن، والقَصَب، والأخشاب، وَسَعَفُ النَخِيل، وغيرها مِن النَبَاتَات... لكن مُجْمَل مناطق "المغرب غير النَّافع"، أي المناطق التي تُهْمِلُهَا السُّلطة السياسية المَرْكَزِيَة، أو التي يُهْمِلُهَا الرَّأْسَمَال الكَبير، والرَّأْسَمَال المُتَوَسّط، تَظْهَر مُتَشَابِهَة نِسْبِيًّا في مَجَال التَهْمِيش، والْإِهْمَال، والْاِضْطِهَاد. وَتُعْتَبَر مناطق جبال الأطلس ضِمْنَ "المَغرب غير النَّافع"، رَغْم وُجُود عدّة مَنَاجِم مَعْدِنِيَّة فيها ].

3/) تَزْعُم بعض دِعَايَات وَسَائِل إِعْلَام دَولة المغرب، أنّ ***أجهزة الدولة القَمْعِيَة والمُخَابَرَاتِيَة الضَّخْمَة***، «قَامَت بِواجِبَاتِهَا على أحسن وَجْهٍ مُمْكِن»، في مَيْدَان «مُعالجة نَتَائِج الزِّلْزَال». وَمَا هي وَاجبات الأجهزة القمعية، إن لم تَكُن هي القَمْع ؟ وَكُلّ مَن يَزْعُمُ أنّ «الْأَجْهِزَة

القَمْعِيَة والمُخابَرَاتِيَة تَقْدِرُ على مُعالجة المَشاكل المُجتمعية»، أو على «إفَادَة المُواطنين، المُتَضَرّرِين مِن الكَوَارِث الطَبيعِيَة»، فَهُو وَاهِمٌ، أو مُخَادِعٌ. وَهكذا، وَرَغْم التَجْهيزات الفَائِقة لِلأجهزة القَمعية التَّابِعَة لِلدّولة (بما فيها السيَارَات الرُّبَاعِيَة الدَّفْع، وَطَائِرَات الهيلِيكُوبْتِر، الخ)، بَقِيَّت قُرابة 40 قَرْيَة مَنْكُوبَة بِزِلْزَال يوم 8 شُتنبر 2023، مَعْزُولَة في جبال الأطلس، بَعد مُرُور أكثر من 24 ساعة على بِدَايَة الزّلْزَال. أيْ بدون طُرُق مَفْتُوحَة، وَلَا كَهْرَبَاء، وَلَا هَاتِف، وَلَا شَبَكَة إِنْتِرْنِيت، وَلَا فِرَق وَسيَّارَات إِسْعَاف. وَعَلَى خِلَاف دِعَايَات دَولة المغرب، لَا تَعْرِفُ الأجهزة القَمْعِيَة والمُخَابَرَاتِيَة الضَّخْمَة، التَّابِعَة لِلدَّوْلَة، سِوَى مُمَارَسَة القَمْع. وَلَا تَتَوَفَّر على الكَفَاءَات الغِلْمِيَة وَالتِقْنِيَة، الضَّرُورِية لِإِنْقَاذ الأرواح بِسُرعة، وَلِمُساعدة السُكَّان المُتَضَرّرِين.

[ وَنَجِد نَفْس الظَّاهِرَة، مثلًا في ***لِيبْيَا، خلال العَاصِفَة، أو الْإِعْصَار*** (cyclone)، الذي أَصَابَ شَرْقَ شَمَال لِيبْيَا، خلال يوم الإثنين 11 شُتَنْبر 2023. وَخَلَّف هذا الْإِعْصَار، حسب وَكَالة تَابِعَة لِلْأُمَم المُتَّحِدَة، قُرابة 3000 قَتِيل، وَغَيَّبَ قُرابة 10 آلَاف مَفْقُود. وقد تَصَاعَدَت الخَسائر فيما بَعد إلى أكثر من 21 ألف قَتِيل... لكن العَدِيد مِن المِيلِشْيَات المُسَلَّحَة والفَتَّاكَة، المَوْجُودة في لِيبْيَا، وَرَغْمَ تَجْهيزَاتِهَا العسكرية الفَائِقَة، فإنها لم تَقْدِر على إِفَادَة الشّعب اللّيبِي بِأَيّة مَنْفَعَة في مُوَاجَهَة هذا الْإِعْصَار ].

4/) على خِلَاف الوُعُود المُتَكَرّرَة التي تَعِدُ بها دَوْلَة المغرب الشَعْبَ، منذ تَارِيخ الاستقلال الشَّكْلِي في سنة 1956 إلى حَدّ الْآن، فإن ***«التَنْمِيَة الاقتصادية الشَّامِلَة» المَوْعُودَة، لم تَتَحَقَّق بِالقَدْر المَطْلُوب.*** وَالْاِحْتِمَال الكَبِير هو أن هذه الوُعُود لَن تَتَحَقَّق حتى في المُسْتَقْبَل المَنْظُور. وَلَوْ أن ثَرَوَات أَقَلّيَة قَلِيلَة مِن العَائِلَات المغربية

الرَّأْسَمَالِيَة تَتَضَخَّم بِسُرْعَة، مُسْتَفِيدة مِن «اِسْتِغْلَال النُفُوذ السياسي»، وَمِن «الرِّيع»، وَمِن اِسْتِثْمَار «مَوَاقِع تَضَارُب المَصَالِح» (conflits d'intérêts)، وَمِن «الغِشّ»، ومن «الرَّشْوَة»، وَمِن «الفَسَاد»، وَمِن الاستفادة مِن «تَرَابِط المصالح الاقتصادية المغربية التَّبَعِية مع الرَّسَامِيل الكَبِيرة» في الشَّرِكات الأجنبية العَابِرَة لِلْقَارَّات، الخ. وهكذا تُنْجِزُ الدّولةُ الرَّأْسَمَالِيةُ القَائِمَةُ في المَغرب ***«التَنْمِيَة الْاِقْتِصَادِيَة» لِصَالِح الرَّأْسَمَالِيّين الكِبَار والمُتَوَسّطِين، وليس لِصَالِح الفَلَّاحِين الفُقَرَاء، وَلَا لِصَالِح المَأْجُورِين الكَادِحِين، وَلَا لِصَالِح المُهَمَّشِين، وَلَا لِصَالِح المُعْدَمِين.*** وَبِقَدْرِ مَا أنّ «التَّنْمِيَة الاقتصادية» مُوجودة فِعْلًا بِالنِسْبَة لِأَقَلِّيَة قَلِيلَة من العائلات، بِقَدْر مَا أن «التَّفْقِير المُجْتَمَعِي»، و«التَّجْهِيل العِلْمِي والسياسي»، هو مَصِير غَالِبِيَّة الشَّعْب. وكل الأشخاص الذين ينظرون إلى الاقتصاد الوطني، فقط من خلال إحصاءات الاقتصاد الكُلِّي (macro-économie)، وليس من خلال الأوضاع الملموسة لجماهير الشعب، لَنْ يَقْدِرُوا على إِدْرَاك مَدَى التَّهْمِيش، والحِرْمَان، والتَّفْقِير، المُسَلَّط على الشّعب. وعلى خِلَاف كلّ الوُعُود، سواءً كانت صَادِقَة أم مُخَادِعَة، ***يَسْتَحِيل إِخْرَاج غَالِبِيَة الشَّعْب مِن التَخَلُّف المُجْتَمَعِي (الذي هو غَارِقٌ فيه) بِوَاسِطة الرَّأْسَمَالِيَة.*** (أنظر في هذا المجال كتابي المَنْشُور على الْإِنْتِرْنِيت بِاللّغة الفرنسية : Rahman Nouda, "Impossible de sortir du sous-développement par le capitalisme". وَيُمْكِن تَنْزِيله بالمجّان مِن مُدَوَّنَة الكاتب https:((LivresChauds.Wordpress.Comhttps:: ((LivresChauds.Wordpress.Com).

5/) بَقِيَت اِسْتِفَادَةُ مناطق جبال الأطلس (الكبير، والمتوسّط، والصّغير)، وجبال "الريف"، مِن ***مَجهودات «التنمية الاقتصادية»،***

المَبْذُولة من طرف الدولة المَرْكَزِيَة في المَغرب، بَقِيَت ***هزيلة جدّا، أو شبه مُنْعَدِمَة.*** وَصُوَّرُ، وَكذلك فِيدِيُوهَات، قُرَى جبال الأطلس (المُصَوَّرَة قَبْلَ، ثمّ بَعْد، زلزال يوم 08 شتنبر 2023)، تَشْهَد على أن هذه القُرَى (في جبال الأطلس) لم تَتغَيّر كثيرا بِالمُقَارنة مع ما كانت عليه إبَّان استقلال المغرب الشَّكْلِي في سنة 1956. والعُمْرَان، أو البِنَايَات العصرية، التي نُشاهد اِنْتِشَارَها في منطقة "الرّيف"، والمَبْنِيَة بِالْإِسْمَنْت والحَدِيد، لم تَكُن نَاتِجَة عن أيّة مُساعدة للدّولة المركزية، وَإِنَّمَا كانت نَاتِجَة عن التَحْوِيلَات المَالِية التي كان المُهَاجِرُون العُمَّال "الرّيفِيُّون" يَبْعَثُونَ بِهَا مِن بُلدان أَوْرُوبَّا الغَربية إلى عَائِلَاتهم المُتَبَقّيَة في مناطق "الرّيف". بَيْنَمَا مناطق جبال الأطلس، لم تَسْتَفِد بما فيه الكِفَايَة مِن الهِجْرَة إلى بُلدان أَوْرُوبَّا الغربية، حِينَمَا كانت هذه الهِجْرَة مُمكنة بَيْن سنوات 1960 و 1980.

وَهكذا، ***بَقِيَت النِسْبَة المِئَوِيَة لِلْمَنَازِل المَبْنِيَة بِالْإِسْمَنْت والحَدِيد، في مناطق جبال الأطلس، بَقِيَتْ مُنْعَدِمَة، أو ضَئِيلَة جِدًّا.*** حيثُ أن مُعْظَم البِنَايَات في مناطق جبال الأطلس (الكَبير، والمُتوسّط، والصَّغِير)، ظَلَّتْ إلى حَدّ الْآن ***مَبْنِيَة بِالتُرَاب، والأَحْجَار، والنَبَاتَات*** (وليس بالإسمنت والحديد، مثلما هو الحال في مناطق "الرّيف"، التي اِسْتَفَادَت من تَجَارِب زِلْزَالَيْ سَنَتَيْ 1994 و 2004). وحينما ضرب الزِلْزَال الْاِسْتِثْنَائِي المُفَاجِئ جبال الأطلس في يوم 8 شُتنبر 2023، بِدَرَجَة 7 على سُلَّم رِيخْتَرْ، كانت الخَسَائر كَبِيرة نِسْبِيًّا. حيثُ بَلَغَت أكثر من 2960 قَتِيل، و 5530 جَرِيح، وَعَشَرات الآلَاف من المَسَاكِن المُخَرَّبَة. (بَيْنَمَا زِلزال منطقة "الرّيف" في سنة 2004، مِن دَرَجَة 6،4 على سُلَّم رِيخْتَرْ، لم يُخَلِّف سِوَى قُرابة 600 قَتِيل، لأن مُجْمَل المَبَانِي كانت مَبْنِيَة بِالْإِسمنت والحَدِيد).

والاحتمال الكبير هو أنه، ***لَوْ كانت غَالِبِيَة المَنَازِل*** (في مناطق جبال الأطلس) ***مَبْنِيَة بِالإِسْمَنْت والحَدِيد*** (مثلما هو الحال في مناطق "الرّيف")، وَلَوْ بِمَعَايير بِنَاء مُتَوَسِّطَة، ***لَكَانَت أَعْدَاد القَتْلَى والجَرْحَى ضَحَايَا الزِلْزَال أَقَلَّ مِمَّا حَدث.*** وَلَوْ كانت دَولة المغرب حقيقة في خِدْمَة الشَّعب، لَأَنْجَزَت هذه الدّولة شَبَكَة كَافِيَة من الطُرُقَات في مناطق جبال الأطلس. وَلَوْ كانت حقيقةً دولة المغرب مُجَنَّدَة لِتَلْبِيَة حَاجِيَّات الشّعب، لَشَجَّعَت مُجْمَل سُكَّان المغرب على تَعْوِيض البِنَايَات المَبْنِيَة بِالتُرَاب والأَحْجَار والنَبَاتَات بِبِنَايَات مَبْنِيَة بِتِقْنِيَات تَمْزِج بين البِنَاء بِالإسمنت والحَديد والبِنَاء بِالطُوب المَصْنُوع مِنْ التُرَاب المَضْغُوط. وَلَوْ قَامَت دولة المغرب بِوَاجِبَاتها المذكورة أعلاه، منذ عُقُود، لَكَانَت أَعْدَاد ضحايا زِلزال 8 شُتنبر 2023 ضَئِيلَة بِفَضْلِ كَوْن البِنَايَات مَبْنِيَة بالإسمنت والحديد. وبعبارة أخرى، فإن الدّولة الـقائمة هي المسئولة عن اِرْتِفَاع عدد الضَحايا.

6/) بعد زِلزال يوم 8 شُتنبر 2023 في جبال الأطلس، سَيُصبح سُكَّان هذه المناطق مُجْبَرين على ***التَخَلّي نِهَائِيًّا عن البِنَاء بِالتُرَاب والأَحْجَار، والنَبَاتَات، وَتَعْوِيضِه بِالبِنَاء بِالإِسْمَنْت والحَدِيد.*** لأنّ هذا البِنَاء (بِالإِسْمَنْت والحَديد) هو الوَحِيد الذي يُقَاوِم الزَّلَازِل. وَلَوْ أنّ كُلْفَتُه هي أكبر. لكن ***تِقْنِيَة البناء بِالإِسْمَنْت والحَدِيد فيها مُشْكِل كَبِير،*** أو فيها تَنَاقُض (contradiction). لأنّ البنايات المَبْنِيَة بِالإِسْمَنْت والحَدِيد لَيْسَت مُرْضِيَة. وَسُكَّان بعض المُدُن الدَّاخِلِيَة (مثل مُرَّاكُش، وَوَارْزَازَات، وَتَارُودَانْت، وَفَاس، وَوَجْدة، الخ)، يَعْرِفُون ذلك جَيِّدًا. وَلِأَنّ ***البِنَايَات المَبْنِيَة بِالإِسْمَنْت والحَدِيد، تَكُون حَارَّة (وَسَاخِنَة) جِدًا في فَصْل الصَّيْف، وَبَارِدَة جِدًا في فَصْل الشِتَاء.*** ولا يَقدر السُكَّان على تَحَمُّل هذه الحرارات المُفْرِطَة في كثير مِن المناطق (مثل قِمَم

جبال الأطلس). بَيْنَمَا ***المَنَازِل المَبْنِيَة بالتُّرَاب، تَكُون دَافِئَـة في الشتاء، وباردة في الصيف.*** وَلَا يَقدر سُكَّان جبال الأطلس على اِسْتِعْمَال «مُكَيِّفَات الهَوَاء» (climatiseurs). لأن الكُلْفَةُ الشَّهْرِيَة لِـكَهْرَبَاء «مُكَيِّفَات الهَوَاء» تَفُوق كَثِيرًا القُدُرَات المالية لِسُكَّان هذه المناطق الفقيرة. ***والحَلُّ الوَحِيد المَعْقُول هُو الدَّمْجُ بين مَزَايَا البناء بالتُّرَاب، والطِّين، والطُّوب الطِّينِي المَضْغُوط، والمِلَاط*** (***Adobe compressé, Pisé, Mortier de terre***)، ***وَمَزَايَا البناء بِالْإِسْمَنْت والحَدِيد*** (***Béton armé***). [ وَقَد اِبْتَكَرْتُ شَخْصِيًّا اِبْتِكَارًا تِقْنِيًّا في مَجَال هَنْدَسَة البِنَاء، يُعَالِجُ هذا المُشكل، عَبْر الدَّمْج بين مَزَايَا التِقْنِيَّتَيْن ].

7/) بَعْد وُقُوع زِلزال 8 شُتنبر 2023 في جبال الأطلس، أصبحت دولة المغرب مُجبرة على مُراجعة وَتَحْيِين ***"خَارِطَة مَنَاطِق المَخَاطِر الزِلْزَالِيَة في المغرب"***، المَنْصُوص عليها في قَانون التَعْمِير رقم 12.90، وفي ظَهِير تَنْفِيذِه الصَّادر في يُونيو 1992 (المنشور في الجريدة الرّسمية العدد رقم 6202، بتاريخ 21 نونبر 2013). كما أن الدّولة مُضطرّة إلى مُراجعة مَا يُسمّى بِـ ***"ضَابِط البِنَاء المُضاد لِلزّلازل"***.

8/) تَعْمَل كَثير من الشَّرِكَات المَنْجمِيَة (المغربية والأجنبية) في مناطق جبال الأطلس (مثل شركات "مَنَاجِم" Managem، و"آيَا أَند كُولْد" Aya & Gold، الخ). وَتَمْتَلِك العائلة الملكية رَسَامِيل حَاسِمَة في بعض هذه الشركات. وَتَسْتَخْرِج وَتُصَدِّر هذه الشركات الكثير من المَعَادِن (مثل الذَّهَب، والفِضَّة، والمَنْغَانِيز، والكُوبَالْت، والزَّنْك، والنُحَاس، الخ). وظلّت هذه الشركات طِيلَة عُقُود تَجْنِي أَرْبَاحًا مُعتبرة. لكن الغَرِيب هو أن هذه الشركات بَقِيَت ***شَرِكَات رَأْسَمَالِيَة***

***أَنَانِيَة، وَبَخِيلَة، وَانْتِهَازِيَة.*** حيث أن هذه الشركات لم تُفِد سُكّان منطقة جبال الأطلس بأيّة فَائدة. ولم تَبْنِي الطرقات الجبلية الضرورية. ولم تُشَيِّد البِنْيَات التَحْتِيَة اللَّازِمَة (مثل المدارس، والمُسْتَوْصَفَات، وَفُرَص التَشْغِيل، الخ). بَل أَضَرَّت هذه الشركات بِسُكَّان مناطق جبال الأطلس، عَبْر تَلَوِيثِ الهَوَاء، والتُرْبَة، والمِيَّاه. وهذا التَلَوُّث الكِيمَاوِي تَسَبَّب لبعض سُكّان المنطقة في أمراض مُتنوّعة.

9/) على خِلَاف تَبَاكِي بعض الجِهَات الرَّأْسَمَالِيَة على قَتْلَى وَجَرْحَى زِلزَال يوم 8 شُتنبر 2023، والذي خَرَّب قُرَى مناطق جبال الأطلس، فإنّ الْأَضْرَار (البِنْيَوِيَة، والدَّائِمَة) التي يُحْدِثُها ***التَفْقِير، والتَهْمِيش، والاضطهاد، الذي تُمارسه الدّولة الرَّأْسَمَالِية المَركزية تُجَاهَ سُكَّان مناطق المغرب المُهْمَلَة، هي أَكْبَرُ ضَرَرًا، وَأَكْثَرُ إِيلَامًا، بالمقارنة مع الْأَضْرَار التي تُحْدِثُهَا كَارِثَة طَبِيعِيَة عَابِرَة،*** أو قَاهِرَة، أو اِسْتِثْنَائِية.

10/) لَوْ مَنَحت الدّولة القائمة في المغرب، إلى سُكَّان مَناطق جبال الأطلس و"الرّيف"، وَلَوْ ثُلُث، أو رُبُع، المُسَاعَدَات وَالْاِمْتِيَازَات المادّية التي مَنَحَتْهَا الدّولة، منذ سنة 1980 إلى الآن، إلى سُكّان وأَعْيَان مناطق الصحراء الغربية المُسْتَرْجَعة، لَمَا بَقِيَت مناطق جبال الأطلس و"الرّيف" في مَا بَقِيَت فيه مِن فَقْر، وَتَهْمِيش، وَتَجْهِيل، وَتَخَلُّف مُجتمعي. والوَاقِع الحالي القائم يَشْهَد على أن مناطق جبال الأطلس و"الرّيف"، هي من بين مناطق المغرب الْأَقَلّ اِسْتِفَادَة مِن تَطَوُّرات المغرب، منذ الاستقلال الشّكلي في سنة 1956 إلى الآن.

11/) على عكس مَا يُقَال عن بعض «الوُعُود» المُتَكَرِّرَة، وَالمُفْرِطَة في السَّخَاء، لَا تَقْدِر لَا «وُعُود» الدّولة، وَلَا «وُعُود» الجَمْعِيَّات الخَيْرِيَة، أن تُنْجِزَ «إِعَادَة إِعْمَار وَتَنْشِيط القُرَى والمناطق المُنْتَشِرَة في جبال

الأطلس» (الكبير، والمتوسّط، والصّغير)، والتي خَرَّبَهَا زِلْزَال يوم 8 شُتنبر 2023. وَلَا يُمكن لِـ «الصَدَقَات المَوْسِمِيَة»، المُوَزَّعَة على الفُقَرَاء والمُحْتَاجِين (في فصل الشِتَاء، أو أثناء كَارِثَة طَبِيعية اِسْتِثْنَائِيَة مثل الزِلْزَال)، وَمَهْمَا كان سَخَاءُهَا، لَا يُمكنها أن تَرْقَى إلى مُسْتَوَى مُعالجة مَشَاكِل السُكَّان، كما لَا يُمكنها أن تَقْدِرَ على تَلْبِيَة احْتِيَاجَاتِهِم المُجْتَمَعِيَة. بَلْ مَا يَحتاج إليه سُكَّان المناطق المُهْمَلَة، ليس هُو ***«الصَدَقَات المَوْسِمِيَة»***، وَلَوْ كانت سَخِيَة، وإنما ***يحتاج هؤلاء المُواطِنِين إلى «تَنْمِيَة اِقْتِصَادِيَة مُجْتَمَعِيَة شَامِلَة وَمُتَرَابِطَة»، لِكَيْ يُصْبِحُوا قَادِرِين على الْاِعْتِمَاد على أنفسهم.*** لكن الرَّأسمالية تَبْقَى عَاجِزَة على إِنْجاز هذا النَّوْع مِن «التَنْمِيَة الاقتصادية المُجتمعية الشَّامِلَة والمُتَرَابِطَة». وَنَتِيجَةً لذلك، وفي اِنْتِظَار «وُعُود التنمية الاقتصادية الشَّامِلَة والمُتَرَابِطَة»، وَالتي لَا يُمكن أن تَتَحَقَّق في إِطَار الرَّأْسَمَالِيَة، فإن المَصِير المُسْتَقْبَلِي المَفْرُوض على مُعظم سُكّان مناطق جبال الأطلس، هو ***الهِجْرَة التَدْرِيجِيَة إلى بَقِيَة مُدُن المغرب.*** وقد كان حَجم الهِجْرَة مِن القُرَى إلى المُدُن يَبلغ في المغرب قُرابة 150 أَلف شخص في كلّ عَام. وَمَهْمَا قِيل عَن الهِجْرَة، ***لا تَقدر الدّولة الرَّأْسَمَالِيَة على مُعالجة، أو إِيقَاف، ظَاهِرَة الهِجْرَة من القُرَى إلى المُدُن.***

12/) أنا لَا أَعْلَم المَجْهُول، وَلَا أَعْرِف بِدِقَّة عُلُوم الجِيُوفِزِيَّاء (géophysique) المُتَعَلِّقَة بِالتُّرَاب الوطني لِلْمَغْرب. لكن لِنَتَصَوَّر الْأَسْوَأ. حَيْثُ لَا يُمكن لِأَيّ عَالِم أن يَجْزِم أن مَرْكَز زِلْزَال قَوِي لَنْ يَحْدُث في المُستقبل، في مدينة الدار البيضاء، أو مُرّاكش، أو الرِبَاط، الخ. لِنَتَخَيَّل مثلًا أنّ الزِلْزَال الذي حدث في يوم 8 شُتنبر 2023 في جبال الأطلس الكبير، بِقُرَابَة الدَّرَجَة 7 على مِقْيَاس رِيخْتَر (Richter)،

لِنَتَخَيَّل أن مَرْكَزُه وَقَعَ بِالضّبط في وسط مدينة الدار البيضاء، والتي يَتَرَاوَح عدد سُكّانها بين 3 و 4 مليون نسمة. وَلِنَتَخَيَّل عدد المَبَانِي التي هي هَشَّة، أو مَغْشُوشَة، أو غَيْر مُتَلَائِمَة مع مَعَايِر البِنَاء الرّسمية. وَلِنَتَسَاءَل كَيْف ستكون النَتَائج والخَسَائِر المُحتملة ؟... أَلَمْ يَحِن إِذَنْ الوقت بَعْدُ في المغرب، ***لِلزّيَادَة في مُسْتَوَى مَقَاييس، أو مَعَايير البِنَاء الْإِجْبَارِيَة***، لِكَيْ تأخذ هذه المَعَايير بِعَيْن الاعتبار المُعْطَيَات الحَدِيثَة، النَّاتِجَة عَن الدِرَاسَة العِلْمِيَة لِـ «حَرَكَة تِكْتُونِيَة الصَّفَائح» (tectonique des plaques) في شَمال إفريقيا، بِالْإِضَافَة إلى تَنْفِيذ وَضَبْط احترامها، في كُلّ أَقَاليم البلاد. وَلَوْ أن تَكَالِيف هذا الصِنْف الجَديد من البناء، المُقَاوِم لِلزّلَازِل، سَتَكُون أَغْلَى نِسْبِيًّا ؟

13/) وَلِجماهير شعبنا، التي أَلِفَت التَعْوِيل على ***مُساعدات دَولة*** المَغرب، أو تَعَوَّدَت على ***مُساعدات الدُّوَل الأجنبية***، نَقُول لها : «لَا تعتمدوا على مُساعدات الدولة، فالدّولة هي نفسها تُعَوّل على الشعب الكادح لكي يَمْلَأَ خَزَائِنَهَا وَمِيزَانِيَّاتِهَا بِمَدَاخِيل الضَرائب وما شَابَهَهَا. بَل اِعْتَمِدُوا على أنفسكم، وعلى تَضَامُنِكُم، وعلى مَجْهُودَاتِكُم المُنْتِجَة، وعلى جماعاتكم، وعلى تنظيماتكم الشعبية المُستقلة. فَأَنْ تَعْرِفَ كَيْف تُنْتِجُ درهمًا واحداً، هُو خَير لك مِن أن تَحْصُل على صَدَقَة 100 درهم بِدُون أيّ مَجْهُود» !

14/) أَوَدُّ أَنْ أُوَضّحَ كَيْفَ أَنّ الدّولة الرّأسمالية القائمة في المغرب، سَاهَمَت في ***تَفْقِير سُكَّان مَناطق جبال الأطلس***، وَخَاصَّةً منها مِنْطَقَة "سُوسْ". وَأَنّ هذا التَفْقِير سَاهَمَ في اِرْتِفَاع أَعْدَاد ضَحايا زِلزال يوم 8 شُتنبر 2023. وَلَوْ أنّ شَرح هذه القَضِيَة يَتَطَلَّب تَقْدِيم بعض التَفَاصِيل. وَسُكَّان مَنْطقة "سُوسْ" يُشَكّلُون الجُزء الأكبر من سُكّان مناطق جبال الأطلس الكَبِير. وَلِشَرح مُسَاهَمَة الدّولة في تَفْقِير هؤلاء

السُكَّان، أُذَكِّر أن الدّولة الرَّأْسَمَالِيَة في المغرب كانت تَخْلُق في كلّ عَام مَا يَتَراوَح مُعَدَّله بين عشرة آلاف وعشرين أَلْف مَنْصِب شُغْل، بَيْنَما الاِحْتِيَّاجَات إلى مَنَاصِب الشُّغل (المَبْنِيَة على أساس تَزَايُد عَدد السُكَّان) كانت تُقَدَّر بِقُرَابَة 300 ألف منصب شُغْل في كلّ عَام. وَأَمَام هذا النَّقْص الكَبِير والمُتَوَاصِل في فُرَص الشُّغْل المُتَاحَة في المغرب (أيْ البِطَالَة)، ومنذ سنوات 1960، اِبْتَكَر سُكَّان مَنَاطِق "سُوس" ***طَرِيقة ذَكِيَة لِتَشْغِيل أَنْفُسِهِم بِأَنْفُسِهِم، دُون الاِعْتِمَاد على مُساعدة الدّولة.*** حيث كان بعض سُكَّان "سُوس"، يُهَاجِرُون إلى المُدُن، حَامِلِين معهم رَأْسَمَالًا صَغِيرًا، مُكَوَّنًا من مُساهمات مختلف أفراد عائلاتهم الصَّغِيرة. وكانوا يَفْتَحُون مَحَلَّات بَقَّالَة (épiceries) في الأحياء السكَنِيَة الشَّعْبِيَة، بِهَدف مُمَارَسَة تِجَارَة القُرْب الصَّغِيرة (alimentation générale). وَكان كل مَتْجَر "سُوسِي" يُشَغِّل 2 أو 3 أَشخاص. وكان تُجَّار أَهْل "سُوس" مَشْهُورِين بِجِدِّيَتِهِم، وَبِكَدِّهِم، وَكَانُوا يَقْبَلُون بِمُعَدَّل رِبْح مُنْخَفِض. وَكَان أهل "سُوس" يَقُومُون بِوَظِيفَة مَجْتَمَعِيَة مُهِمَّة، هي تَوفِير "تِجَارَة القُرْب الصَغِيرة". وانتشروا في مُجْمَل أَنْحَاء المَغرب. لكن ***منذ قُرابة سنوات 1980، إِنْطَلَقَت السُّلْطَة السياسية في دولة المَغرب بِحَمَاسَة مُفْرِطَة في تَشْجِيع وَتَقْوِيَة الرَّأْسَمَالِيَة الكَبِيرة والمُتَوَحِّشَة.*** وَسَهَّلَت دَوْلة المَغرب اِنْتِشَارَ ***المَتَاجِر الرَّأْسَمَالِيَة الضَّخْمَة،*** أو «السُّوبَرْ مَارْكِتْ» (Supermarchés)، المَبْنِيَة فَوْقَ مِسَاحات شَاسِعَة. ومن أبرزها، الشركة المَغْربية "مَرْجَان" (Marjane)، والشركة المغربية "أَسِيمَا" (Acima)، [وَتَمْتَلِك العائلة الملكية رَسَامِيل حَاسِمَة في هذه الشركات]، وَالشركة الفَرَنْسِية "كَارُوفُور" (Carrefour)، والشركة التُورْكِية "بِيم" (Bim)، الخ. وتَبِيع هذه المَتَاجِر الضّخمة كلّ السِّلَع المُمكنة (المَحَلِّيَة والمُسْتَوْرَدَة، اِبْتِدَاءً مِن الدَّقِيق وَالخُبز والخُضَر،

وانْتِهَاءً بِالأجهزة المنزلية الكبيرة). وَبِفَضْل تِقْنِيَّاتِهَا التِجَارِيَة المُتَقَدّمَة، وَكذلك بِفَضْل عَلَاقَاتِهَا المُبَاشِرة مع الشركات المُنْتِجة الأَصْلِيّة، اِسْتَطَاعَت هذه المَتَاجر الضّخمة أن تَنْتَزِع مُجْمَل الزُّبَنَاء الْأَثْرِيَاء، وَالزبناء المَيْسُورين، وحتّى بعض الزُبَنَاء ذَوِي الدَّخْل الصَّغِير، من مَتَاجِر البَقَّالَة الصَغِيرة. ***وَبِقَدْر مَا تَضَخَّمَت أَرْبَاح شَرِكَات "المَتَاجِر الضَّخْمَة"*** (*supermarchés*)، ***بِقَدْر مَا اِنْخَفَض مُتَوَسّط أرباح مَتَاجِر البَقَّالَة الصغيرة*** (*épiceries*). بَل أَصْبَحَت مِهْنَة مَتَاجِر البَقَّالَة الصَّغيرة والمُتوسّطة ***مَحْكُوم عليها بِالزَّوَال، وَبِالْاِنْقِرَاض.*** لِأَنَّها تَعْجزُ على مُقَاوَمَة مُنَافَسَة الرَّأسمال الكَبِير. كَمَا أن مَتاجر البَقَّالَة الصَّغيرة مُنَافَسَة مِن طَرف "البَائِعِين المُتَجَوّلين" (الفَرَّاشَة)، والبَائِعِين المُتَجَوّلِين أصحاب "الدرَّاجَات ثُلَاثِية العَجَلَات" (triporteurs). وهذه ***التَطَوُّرَات نَحْوَ اِحْتِكَار السُّوق مِن طَرف 2 أو 3 شركات، هو تَطَوُّر حَتْمِيّ في إِطَار الرَّأْسَمَالِية.*** والدّولة تعرف أن هذه التَطوّرات هي حَتْمِية. وَتَتَضَاءَل باستمرار فُرَص ***التَشْغِيل الذَّاتِي*** (auto-emploi) في تِجَارَة القُرْب الصغيرة. وَمَا حَدَث في رَأْسَمَالِيَة أَمْرِيكَا، وفي رَأْسَمَالِيَة بُلدان أَوْرُوبَّا الغَربية، سَيَتَكَرَّر الجُزْء السَّلْبِي منه في رَأْسَمَالِية المغرب. وهو ***اِنْقِرَاض تَدْرِيجِي لِمَتَاجِر البَقَّالَة الصَغِيرَة، وَتَعْوِيضُهَا بِالمَتَاجِر الضَّخْمَة*** (*supermarchés*). وَلَم تُبَالِي دولة المغرب بِمَصِير التُجَّار الصِّغَار المُنْحَدِرِين مِن منطقة "سُوسْ" في جبال الأطلس. كما لَمْ تَهْتَمّ بِمَصِير مِهَن التِجَارَة الصَّغِيرة بِشَكْل عَامّ. ولم تُقَدّم دَولة المغرب أَيّة حِمَايَة، أو بَدِيل، لِأَصْحَاب مَتَاجِر البَقَّالَة الصغيرة والمتوسّطة. وَتَرَكَتْهُم دّولةُ المَغرب فَرِيسَةً سَهْلَةً أَمَام "المَتَاجر الضَّخْمَة" (supermarchés). ولم يَعُد سُكَّان منطقة "سُوسْ" يَجِدُون فُرَصًا سَهْلَة لِتَشْغِيل أَنْفُسِهِم بِأَنْفُسِهِم في التِجَارَة الصَّغِيرَة. فَانْتَشَرَت من جَدِيد البِطَالَة في

أَوْسَاطِهِم. وهكذا ساهمت الدّولة في تَفْقِير سُكّان مَنَاطق "سُوسْ" وجبال الأطلس الكبير. كما سَاهَمَ كذلك فَقْر سُكَّان مناطق جبال الأطلس في اِرْتِفَاع أَعْدَاد الضَحَايَا والخَسَائِر المادّية، النَاتِجَة عن زِلْزَال يوم 8 شُتنبر 2023. لذا نَقُول لِأَوْلَائِك الذين يَتَبَاكَون على ضَحايا زِلزَال 8 شُتنبر 2023 : «لَوْ كُنْتُم صَادِقِين، لَمَا تَصَرَّفْتُم كَرَأْسَمَالِيّين أَنَانِيّين، وَانْتِهَازِيّين، وَجَشِعِين» !

15/) تَحَدَّثَت وَسَائِل الإعلام الرّسمية في المغرب عن الحَل الذي تُرِيد دَولة المَغرب أن تُعَالج به مُخَلَّفَات الزّلْزَال. وَيَتَكَوَّن هذا الحَلّ مِن : تَقْدِيم «مُساعدات مَالِية فَوْرِيَّة» (مَا بين 80 ألف و 140 ألف درهم) لِكُلّ عَائِلَة مُتَضَرِّرَة، و«إِعَادَة بِنَاء المَسَاكِن المُهَدَّمَة»، و«إِعَادة إِعْمَار المناطق المنكوبة». لكن المَنَاهج التي فَكَّرَت بها دَولة المغرب لِتَخَيُّل هذه «الحُلُول»، لَا تَرَى الوَاقع كما هُو. ولماذا ؟ لأن المُشكل المُسْتَعْجَل بَعْدَ زِلْزَال يوم 8 شُتنبر 2023، هو أنه ***لَمْ يَبْقَ لِوُصُول مَوْسِم الأمطار، والبَرْد، والثُلُوج، سِوَى أَقَلّ مِن شَهْرَيْن. وَمِن شِبْه المُسْتَحِيل، أَنْ يَقْدِرَ السُكَّان المُتضرّرون من الزّلْزَال، على إِعَادَة بِنَاء مَسَاكِنَهُم، خلال أَقَلّ مِن شَهْرَيْن (أي خلال شَهْرَيْ أُكْتُوبَر، وَنُوَنْبِر 2023). كما أنّه من شِبْه المُسْتَحِيل أن يَقْدِرَ هؤلاء السُكَّان على العَيْش خِلال فَصْل الشِتَاء المُقْبِل (شُهُور نُوَنْبِر 2023 - فبراير 2024)، في خِيَام خَفِيفَة، على قِمَم جبال الأطلس، في اِنْتِظَار بِنَاء مَنَازِل صَلْبَة جَدِيدة.*** خَاصَّةً وأنّ البَرْد شديد في جبال الأطلس. وَبِالتَّالِي، ***سَيَحْتَاج هؤلاء السُكَّان فَوْرًا إلى مَسَاكِن صَلْبَة، وَجَاهِزَة،*** يَقْضُون فيها فصل الشِتَاء المُقبل. وَالحَل البَدِيل الذي أراه وَاقِعِيًّا، هو إِسْكَان ضَحَايَا الزِلْزَال مُؤَقَّتًا في مَنَازِل صَلْبَة جَاهِزَة، في المُدُن الشَّاطِئِيَة القَرِيبَة، المُتَوَاجِدَة بين مُدُن الصَوِيرَة، وَأَكَادِير، وَتِيزْنِيتْ، إلى

حِين أن يَنْتَهِيَ فَصْل شِتَاء سنة 2023-2024، وَإلى حِين أن تَتِمَّ عَمَلِيَة إِعَادَة بِنَاء المَنَازِل المُهَدَّمَة. ***والمَوَاد الْاِسْتِهْلَاكِيَة المُسْتَعْجَلَة*** التي يَحْتَاجُ إليها سُكَّان ضَحَايَا زِلْزَالٌ جبال الأطلس (في اِنْتِظَار تَرْحِيلِهِم مُؤَقَّتًا)، هي خُصوصًا : فَتْح الطُرُق المَسْدُودَة، أَلْبِسَة فَصْل الشِتَاء، خِيَّام مُؤَقَّتَة (قَادِرَة على الحِمَايَة من الرِيَّاح والأمطار والثُلُوج)، الدَّقِيق لِصناعة الخُبز، القَطَانِيَّات أو البَقُّولِيَات (légumineuses)، الخُضَر والفَوَاكِه، قِنِّينَات غَاز البُوطَان، وَسَائِل الطَّهْي، الأطبّاء والمُمَرِّضِين والأَدْوِيَة، الأغطية، الخ. وَلِتَلَافِي تَعْبِئَة مُسَاعَدَات غَيْر نَافِعَة، سَيَكُون مِن وَاجب الدّولة، كَمَا مِن وَاجب مُقَدِّمِي المُساعدات، أن يَسْتَشِيرُوا، وأن يَتَشَاوَرُوا، مع سُكَّان مَناطق جِبال الأطلس المُتَضَرِّرِين مِن الزِّلْزَال، حَول الأَسْبَقِيَّات في نَوْعِيَة المُساعدات المَرْجُوَّة.

16/) بعد حُدُوث الزلزال، كان الناس في البداية أَحْرَارًا في جَمْع المُساعدات التي يُريدُون، وَكانوا يُوَزِّعُونها كما يَشَاؤُون، وعلى مَن يَختارون. لكن بعد مُرور قُرابة 8 أيّام على بداية الزلزال، ***قَرّرت دّولة المَغْرب السيطرة على كلّ شيء.*** فأصبحت الدّولة تفرض جَمْع المُساعدات في «مُسْتَوْدَعَات مَركزية» مَوْجُودة مثلًا في مُراكش، وَتَتَكَلّف الدّولة وحدها بِتَنْظِيم تَوْزِيع هذه المُساعدات، مَتَى تُريد، وعلى مَن تُريد. والمُشكل في جَمْع المُساعدات في «مُستودعات مركزية» تَابِعَة لِلدّولة، هو أنه يُسَهِّل إِمْكَانِيَّات التَحَايُل في اِسْتِعْمَال هذه المُساعدات، ولا يَسمح لجهات مُستقلّة عن الدّولة بِمُراقبة اِسْتعمال هذه المُساعدات.

17/) بعد مُرور قُرابة 8 أيام على بداية الزلزال، ***أَقْدَمَت دّولة المَغْرب على خَلْق «صُنْدُوق» (caisse, fonds) مَركزي.*** وتطلب الدّولة

من أَشخاص أثرياء، أو من مُقَاوَلات، أو مؤسّسات، أن يُساهموا بِـ «تَبَرُّعَات مَالِيَة» في هذا الصُّندوق. والمُشكل المَعْهُود في مِثْل هذه «***الصَّنَادِيق***»، هو أنها غير شَفَّافَة في تَدْبِيرِها. ولا يُمكن لأشخاص أو مؤسّسات، مُستقلّين عن السُّلْطَة السياسية في البلاد، أن يُرَاقِبُوا دُخُول المَدَاخيل إلى الصُّندوق، وَأن يُراقبون صَرْف النَّفَقَات على المواطنين المُسْتَهْدَفِين أَصْلًا بهذه «الصَنَاديق». ومن المعروف أن الدّولة أَلِفَتْ اِسْتِعْمَال بعض «الصَنَادِيق» لِأَهْدَاف مُخالفة لِأَهْدَافِهَا الأَصْلِيَة.

18/) أَثْنَاء كلّ كَارِثَة طَبيعية (مثل الحَرِيق، والعَاصِفَة، والإعصار، والفَيَضَان، والزِلْزَال، الخ)، تَمِيل الدّولة الرَّأْسَمَالِية إلى الزِيَّادة في نَفَقَات التَدْبِير. وتضطر الدّولة أيضًا إلى طَبع الْأَوْرَاق النَّقْدِيَة بِدُون مُقابل مَادّي. فَيَتَصَاعَد التَضَخُّم، وَتَسْتَمِرّ النُقُود المُتَدَاوَلَة في فُقْدَان جُزء مِن قُدْرَاتِهَا الشِرَائِيَة.

19/) بَعْد كلّ كَارِثَة طَبيعية ضَخْمَة، يَكْتَشِف المُواطِنُون مِن جديد، أن ***الْأَسَاس الصَّلْب في المُجتمع هُو الشَّعْب، وَلَيْسَ الدَّوْلة.*** (أُنْظُر كتابي "أُطْرُوحَات حَوْل الدَّوْلَة"). وَيَكْتَشِفُون أن الدَّولة، وَمَهْمَا تَقَوَّت وَتَضَخَّمَت، تَبْقَى مُجَرَّد بِنَاء فَوْقِي هَشّ، وَمَلِيء بِالعُيُوب، وَالمُخَالَفَات. كَمَا يَكْتَشِف المُوَاطِنُون مِن جَدِيد، بعد حُدُوث هذه الكَوَارِث الطبيعية، أنّ جَشَعَ الرَّأْسَمَالِيّين، وَأَرْبَاحُهُم، تَتَزَايَد دَائِمًا، بِلَا تَوَقُّف، وَبِلَا شَفَقَة، وَلَا رَحْمَة، سَوَاءً قَبْلَ، أَمْ خِلَال، أَمْ بَعْدَ، هذه الكَوَارِث الطَبِيعِيَة.

رَحْمَان النُوضَة (14 شُتنبر 2023). (الصِيغَة 4).